

تاريخ القبول: 2019/05/20

تاريخ الإرسال: 2019/04/19

لافيجري والتنصير في الجزائر:

ضخامة الامكانيات والجهود وضآلة النتائج والمردود.

قرى العرب النصرى أنموذجا

**Lavigerie and Christianity in Algeria:
The great potentials and efforts, the small results
and profitability.**

Arab Christian villages Model

عبد القادر بوتشيشة Abdelkader BOUTCHICHA

a.boutchicha@univ-chlef.dz

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية.

مَلْحَصٌ مِنَ الْإِسْلَامِ

يعد لافيجري من بين الشخصيات الفرنسية الكبيرة التي نشطت في شمال إفريقيا في مجال التنصير الذي بلغ في عهده ذروته حتى لقب بأبو التنصير في الجزائر وإفريقيا، وعدته الكتابات التاريخية التنصيرية أبرز شخصية دينية طيلة القرن التاسع عشر.

استغل لافيجري الظروف القاسية التي كان الجزائريون يعيشونها نتيجة المجاعة وانتشار الأوبئة وجمع عدد من الأيتام في مراكز خاصة وعمل على تنشئتهم تنشئة نصرانية. ولما كبروا كون منهم أسرا وأسكنهم في قريتين بسهل الشلف، بنيت خصيصا لهم، عرفت بقرى النصرى العرب.

بالرغم من الطرق والوسائل التنصيرية الجديدة التي جاء بها لافيجري والامكانيات التي سخرها لهذا الغرض إلا أنه لم يحقق نجاحا يذكر وفشلت تجربة قرى النصرى العرب بفضل تماسك نسيج المجتمع الجزائري وحصانته الدينية.

الكلمات المفتاحية: لافيجري، مكماهون، التنصير، الآباء البيض، العرب النصارى، القبائل، سان سيبريان، سانت مونيكا.

Abstract :

Lavigerie is one of the great French figures who has been active in North Africa in the field of Christianization, he was named the Father of Christianity in Algeria and Africa, he was promised by the historical writings of Christianity and regarded as the most prominent religious figure throughout the nineteenth century.

Despite the new missionary methods ways and means of Christianizing that Lavigerie had brought to this end, he had not achieved much success and the experience of Arab Christian villages had failed thanks to the cohesion of the Algerian society and its religious immunity.

Key words: Lavigerie, McMahan, Christianization, White fathers, Christian Arabs, the Kabyles, Saint Cyprian, St. Monica.



مقدمة

لعله أصبح من المسلمات القول بأن التصير كان من أبرز أهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر؛ إذا صرح بذلك وأعلنه قادة فرنسا وزعمائها السياسيين والعسكريين ومفكرها. وبالرغم من أن التصير كان من ضمن الخطط العسكرية والمشاريع الثقافية، والإستراتيجية التعليمية للإدارة الاستعمارية، إلا أن الكنيسة انبرت لهذا الهدف وسخرت له إمكانيات كبيرة وأنشأت له مؤسسات تولى إدارتها وتوجيهها أشهر وأقدر كهنتها.

يعتبر الكاردينال لافيغري من أشهر الأساقفة الذين عملوا في هذا المجال، فهو مؤسس «جمعية مرسلي إفريقيا» التي عرفت تاريخيا باسم «الآباء البيض»، وتفرعت عن هذه المؤسسة الأم فرقة أخرى وهي «الأخوات البيض» وشكلت جيشا من المنصرين سماه الدكتور أبو القاسم سعد الله «الجيش الأبيض».

استغلت هذه الفرقة الظروف القاسية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، لتحاول نشر النصرانية على نطاق واسع خاصة زمن الحروب والمجاعات باعتبارها مؤسسة «خيرية» تهدف إلى تخفيف المعاناة عن السكان.

من ذلك ما قام به لافيغري خلال مجاعة 1868 م من جمع لعدد من الأيتام ووضعهم داخل مراكز وقرى وتنشئتهم تنشئة نصرانية لغاية تحويلهم في النهاية إلى مواطنين فرنسيين. تجسد هذا المشروع في قريتي «سان سيبريان» و«سانت مونيكا» بنواحي العطف بسهل الشلف.

سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على النشاط التصيري لجمعية «مرسلي إفريقيا» وأسلوب عملها في المنطقة وظروف انشاء مراكز الأيتام والقرى الاستيطانية للعرب المنصرين، ومدى نجاح لافيغري وجمعيته في أهدافه التصيرية.

الأبعاد الدينية للغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر:

تميزت الحركة الاستعمارية الحديثة بتعدد أبعادها وأهدافها وتنوع وسائلها؛ فهي اقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية في آن واحد. واعتبرت الحركة الاستعمارية، في

البلاد العربية خاصة والعالم الاسلامي عامة، حلقة من حلقات الصراع بين الاسلام والنصرانية الذي بدأ مع ظهور الاسلام ورفض الكنيسة له. فقد بات الدافع الديني والهدف التصيري من أهم دوافع وأهداف الاستعمار.

فالفرنسيون التي أعلنوا ابتداءً أن حملتهم على الجزائر محدودة في الزمان والمكان والهدف، برروها بكونهم سينتقمون لشرفهم المهان وأقنعوا بابا الفاتيكان بأنهم «سيرفعون الصليب ويخضون الهلال في الجزائر فبارك ودعا ربه بالنصر»¹. كان ذلك ضمن جملة من التصريحات لسااستهم وقادتهم ومفكرهم كلها تصب في نفس السياق.

فوزير الحربية في حكومة شارل العاشر وفي تقرير رفعه إلى مجلس الوزراء بتاريخ 14 أكتوبر 1827 م، اعتبر أن الفرنسيين سيكونون سعداء لو تمكنوا من «تمدين!» سكان الجزائر وتحولهم إلى النصرانية². والملك نفسه خاطب كل أساقفة فرنسا قائلاً لهم: «إن مرادنا أن تقيموا صلوات في جميع الكنائس وتطلبوا من الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر»³. وعندما وقّع الداوي حسين وثيقة الاستسلام ودخل الجيش الفرنسي مدينة الجزائر؛ أقيمت صلاة للنصارى خطب فيها كبير الأساقفة الذين رافقوا الحملة وتوجه بخطابه إلى قائدها قائلاً: «لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا»⁴.

وعندما تمت لهم السيطرة على العاصمة وبقية الحواضر الجزائرية، قرن الفرنسيون الأقوال بالأعمال فوضعوا أيديهم على المؤسسات الدينية وخاصة المساجد، فكان مصير جلها الهدم العاجل أو الآجل أو تحويل بعضها إلى كنائس أو مقار إدارية وعسكرية⁵.

إن الاستلاء على المؤسسات الاسلامية كان جزءاً من مخطط واسع للقضاء على مقومات المجتمع الجزائري تمهيدا لفرنسته وتغريبه؛ واعتبر زعماء فرنسا ومنظري السياسة الاستعمارية في الجزائر أن فرنسة المجتمع الجزائري مرهون بتتصيره. لأجل ذلك تهافت المنصرون على الجزائر، وانتظموا ضمن جمعيات ومؤسسات. ولعل من أشهر من نشط في ميدان التصير بالجزائر الكاردينال لافيغري⁶.

الأيتام ضحايا مجاعة 1867 م لقمة صائغة للتصوير .

في سنة 1867 م عرفت الجزائر قحط شديد فأجذبت الأرض جراء الجفاف وأسراب الجراد التي غزت المناطق الزراعية في الشمال، فانتشرت المجاعة بين السكان المسلمين دون الأوروبيين.⁷ وزاد في تقادم أوضاع المسلمين الجزائريين انتشار الوباء (الطاعون والتيفوس)؛ خاصة بعد الزلزال الذي ضرب مدينة البليدة، فمات من الجزائريين خلق كثير (يزيد عن 300 000 نسمة)⁸.

لقد كان عدد الضحايا مرتقعا جدا في أوساط الجزائريين لانعدام وسائل الوقاية الصحية لديهم، وتدهور أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية، وعدم اهتمام السلطات الاستعمارية بمقاومة الوباء إلا في أوساط الأوروبيين⁹

وبالنسبة للافريقي فإن الكارثة المزدوجة (المجاعة والوباء)، «قد غيرت من واقع الحال وفتحت أمام المنصرين آفاقاً جديدة». إذ أن الضحايا الذين حصدهم الجوع والمرض تركوا خلفهم آلاف الأيتام.¹⁰ «وأعتبرت المجاعة الكبرى لعام 1867م فرصة من الله لإزالة العقبات التي تقف أمام أنجزة افريقية»¹¹. ولكي يبرر سلوك الكنيسة في استغلال الأوضاع المأسوية للسكان المسلمين وحاجاتهم للخبز والعلاج، راح يتهم المسلمين بأنهم تركوا هؤلاء الأطفال يواجهون قدرهم المحتوم جراء الجوع والمرض.

جمع لافيجري أطفال المسلمين ضحايا المجاعة والوباء ووضعهم في مراكز للأيتام. كان عددها خمسة (في العاصمة وحدها): ثلاثة للبنين وأثنين للبنات¹² كسانت أوجين والأبيار وبن عكنون. وأرسل رسائل إلى أوروبا لتقرأ في الكنائس؛ فجاءته المساعدات والمعونات المالية من كل حذب وصوب (فرنسا، بلجيكا، اسبانيا، بريطانيا وغيرها)، وبعث له البابا 5000 فرنك. كما طاف القساوسة بمختلف مدن الجزائر لجمع المال، وتشكلت لجان لهذا الغرض حتى بلغت قيمة ما جمع من مال 300 ألف فرنك¹³ (يزيد المبلغ على المليون فرنك حسب البو عبدلي)¹⁴، وأرسل له

الجيش البغال والعربيات وعشرات الخيم، وبعض الجنود لغرض الحراسة وأعمال التمريض¹⁵.

لقد كانت الدعاية التي صاحبت التقاط هؤلاء الأيتام أكبر من العمل في حد ذاته، فمات عدد كبير من الأطفال وهم في مراكز الأيتام إذا كانوا يموتون بمعدل عشرة أو خمسة عشر¹⁶. فمات - حسب بونار - 500 يتيم، وعاد إلى ذويه 300 منهم وبقي منهم ألف طفل في مركز اليتيمات الذي أنشأ في القبة، وفي بن عكنون والدار المربعة (الحراش) بالنسبة للذكور منهم¹⁷. وكان لافيغري قد اشترى مساحات من الأراضي بضواحي العاصمة، وأقام بها مستثمرات فلاحية. وهكذا كان الحال لجل الأيتام الذين جمعهم لافيغري، حيث وجهوا للاشتغال في الفلاحة¹⁸. بينما قلة منهم من امتهن حرفة غير الزراعة؛ فخمسة منهم أصبحوا أطباء وبعضهم انتسب إلى السلك الكنسي وأصبح ثلاثة منهم إرساليين (منصّرين)¹⁹.

بعد أن انزاحت غمة المجاعة والوباء عن الجزائر، وقع خلاف حول مصير الأيتام. كان مخطط لافيغري هو تنصيرهم والإبقاء عليهم عنده، بينما طالب أقاربهم باستعادتهم، وكذلك الحاكم العام «مكماهون» لأنه كان يخشى ردة فعل «الأهالي» تجاه تنصير أبنائهم واندفاع لافيغري بقوة في هذا الاتجاه. وتم تبادل الرسائل بين الطرفين من جهة، وبين كل طرف والسلطات المدنية والعسكرية في باريس. وكعادته هاجم لافيغري الإسلام والقرآن واعتبرهما عائق في طريق «تمدين» وفرّسة «الأهالي»، كما انتقد إدارة الحكم العسكري في الجزائر ومشروع «المملكة العربية». وتقاطعت مشاريع وخطط لافيغري مع مصالح المعمرين. وطالب بإطلاق يد الكنيسة الكاثوليكية في الجزائر²⁰ مستندا على تأييد الإمبراطور نابليون الثالث والرأي العام الفرنسي²¹.

لم يعبأ لافيغري بمعارضة السلطات العسكرية في الجزائر، وأصر بالاحتفاظ بالأطفال واعتبرهم ملكا له لأنه كان يرى أنه هو من افتكّهم من براثن الموت المحتم. وقال إن القوة وحدها هي التي تنتزعهم منه²².

كانت المجموعة الجزائرية الأولى التي حاولت الكنيسة تربيتها برعاية لافيغري تتركب من 34 يتيما أنتقوا بعناية أختبرت فيها قدراتهم الذهنية. وقد تطوّر ذلك العدد سنة 1874 إلى 62 فرداً، حيث استمرّ تعليمهم قرابة خمس سنوات من 1869 إلى 1874م. ثم في مرحلة لاحقة قرّرت الكنيسة ترحيلهم إلى فرنسا لإطلاعهم على المجتمع المسيحي الحقيقي وهناك جرى تعميدهم. عانت مجموعة التجربة الأولى من الغربة جراء الاجتثاث من واقعها، فعبّر جمع منهم عن رغبة في العودة للجزائر، فكان الحدث فشلاً مبكراً للكنيسة²³.

قرى العرب النصارى.

أصبح مصير الأيتام والمنصرّين من المسلمين مشكلة تزداد تفاقماً مع مرور الوقت، فالأطفال لم يعودوا أطفالاً، وذويهم لم يتوقفوا عن المطالبة باسترجاعهم، والإدارة تضغط من جهتها حفاظاً على وضع التهذئة والسلم الاجتماعي. ومنذ البداية كان لافيغري يدرك أن مراكز الإيواء ليست حلاً دائماً؛ وأنه لا بد من التفكير في مستقبل ساكنيها من الأيتام، كما كان يرى ضرورة تأمين مصدر دخل قار يغطي مختلف المصاريف المتعلقة بالأنشطة التنصيرية وعليه تأمين مستقبل هؤلاء الأيتام²⁴.

وبعد أن حسم لافيغري المعركة مع معارضيه - وخاصة مكماهون- لصالحه؛ قرر لافيغري إنشاء قرى فلاحية «للعرب النصارى» الذين كان أغلبهم من منطقة القبائل؛²⁵ بغرض عزلهم عن محيطهم الطبيعي فاشترى ما يزيد عن 1000 هكتار من الأراضي في منطقة العطاف بسهل الشلف لهذا الغرض²⁶.

وشيد لافيغري قرية «سان سيبريان» تخليداً لأسقف قرطاجة السابق الذي يعتبره الكاثوليك أشهر «شهداء» النصرانية في إفريقيا²⁷، وحضر بنفسه حفل التدشين الذي كان في 15 مارس 1873 م وأقامت بها مجموعة مكونة من 26 أسرة بعد ما زوج اليتامى الذين بلغوا سن الرشد من اليتيمات اللواتي بلغن سن الزواج²⁸ وكان قد استقدمهم عبر القطار من ملاجئ الأيتام بالعاصمة، خاصة من ملجأ سان شارل (القبة) والدار المربعة (الحراش)²⁹.

منح لكل أسرة من العرب النصارى 20 هكتاراً من الأراضي الصالحة للزراعة ومنزلاً يتألف من غرفتين أو ثلاث غرف، كما منح لكل أسرة مقدماً من النقود وبعض العتاد والمواد الزراعية والحيوانات. أما بالنسبة للأرض فقد كانت على سبيل الإيجار وبسعر رمزي، وبذلك ظلت الأراضي ملكاً للكنيسة، وظل الفلاحون في تبعية للمنصرين³⁰. ثم أسس لافيغري القرية الثانية بعد الأولى بقليل، وسماها "سانت مونيك" تخليداً لأم القديس أوغستين، وتكونت القرية من 24 أسرة. ومن ضمن العائلات، نجد عائلات «فرانسوا بن عيسى» و «جان الشريف» الذين كانوا يعيشون أولاً في سانت أوجين³¹. وأقامت "الأخوات البيض" في القرية واعتنيت بالتعليم والتطبيب، ورعاية الرضع في الوقت الذي كانت أمهاتهن تشتغلن في الحقول. وفي سنة 1876 أنشأ لافيغري مستشفى «سانت ايليزابيت» بالقرب من القريتين، وسماه بيت الله (Bit Allah)³². شيده بحضور شخصيات مدنية وعسكرية³³ منهم قنصل بريطانيا الذي أبدى إعجابه بلافيغري إلى درجة تشبيهه بالقديس «أوغستين» قائلاً: «لقد رأينا القديس أوغستين»³⁴.

المرتدون: حكم المجتمع الجزائري على العرب المنتصرين.

عندما بدأ لافيغري نشاطه التنصيري في الجزائر كان يحذوه أمل كبير في أن يدخل الناس في دينه أفواجا، وكان من البداية يدرك مدى تأثير المجتمع على الفرد في الجزائر، لذلك حاول تطبيق استراتيجية التنصير الجماعي وركز على منطقة القبائل للأسباب التي ذكرناها سابقاً، ولكن نظام الجماعة (تاجماعت) أفضل خطته ولم ينتصر من البالغين إلا عدداً محدوداً. فاتجه إلى الفُصّر الذين أضناهم اليتيم والجوع والفاقة وأصبحوا بلا معيل، لأنهم كانوا بمثابة العجينة التي يسهل تشكيلها، ومن هذه الفئة كان العرب المنتصرين. لقد كان لافيغري يرى في هؤلاء الشبان الجزائريين الطليعة النصرانية «لأنجلة» كل القارة ونواة الكنيسة الإفريقية الجديدة.³⁵

فرض لافيغري على العرب النصارى عزلة شبه تامة، فمنعهم من الاختلاط بالأوروبيين خوفاً من تأثرهم بعباداتهم السيئة، ومنعهم من الاتصال بالمسلمين من الأهالي خشية أن يعيدوهم إلى ملتهم الأولى (الإسلام).

والواقع أن المجتمع الجزائري نبذ المتتصرين وقاطعهم، فالأفراد القلائل الذين تتصروا في منطقة القبائل طردوا من قراهم³⁶ ولفظوا من المجتمع كما يلفظ الجسم الغريب، وكذلك الحال بالنسبة للأسر المنتصرة التي استقرت في قريتي «سان سيبريان» و«سانت مونيكا».

أطلق المجتمع الجزائري على من تنصر من العرب لفظ: «امْطُورني» (M'tourni) وهي كلمة مركبة من مقطعين: (M، م) و(tourni³⁷، طُورني)، واللفظة كما هو واضح مزيج بين الفرنسية والعربية، ومنذ تلك الأيام أصبحت الكلمة متداولة في العامية الجزائرية -ولازالت- كما أنها أصبحت تستعمل في اللغة الفرنسية ولغات أوروبية أخرى.

واللفظ (امْطُورني، M'tourni) هو عند البعض تحريف في النطق عند الجزائريين للعبارة الفرنسية (mal-tourné)³⁸. وبالرغم من أن الأكاديمية الفرنسية لم تعتمد هذا الملفوظ إلا أنه أصبح شائع الاستعمال عند الفرنسيين في مؤلفاتهم وكتاباتهم ويستعمل كشتيمة وسباب لمن ينعت به وهو يعني: المرتد (renégat)، أي الذي تخلى عن الإسلام واعتنق النصرانية. ثم شمل معناها أيضاً - في صيغة الجمع - الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية حتى ولو لم يتنصروا³⁹. في حين نجد «بوتيي» يترجمها حرفياً بالذين «قلبوا معافهم» (ceux qui ont retourné leur vestes)⁴⁰. بل وصل الحد إلى اعتبار كل من فكر في التجسس أو اعتد بعوائد الفرنسيين من المرتدين (les M'touris)⁴¹.

وهكذا فإنه يوجد إجماع على أن لفظ «امْطُورني» (M'tourni) تعني المرتد، وأن أول من أطلقها هم مسلمو الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي، وهي - في نظرنا - نحتت على صيغة اسم الفعل: تحول، مُتحول («طُورني، مُطُورني») أي إرتد، مُرتد.

لقد كان لهذه الكلمة/ الشتيمة مفعولها السحري في المجتمع الجزائري، وكانت بمثابة الدعاية المضادة للتنصير في أوساط القلة الذين فكروا في التنصّر أو التجنّس، بل وصل الحد إلى أن كثيرا من المغتربين الجزائريين المخضرمين (الذين عاصروا فترتي الاستعمار والاستقلال) آثروا التضحية بحقوقهم المهنية في فرنسا على قبول التجنّس بالجنسية الفرنسية⁴².

كان لافيغري يزعم أن يقيم قرى أخرى للعرب النصارى، لكن الحكومة الفرنسية سحبت الاعتمادات المالية التي كانت خصصتها للمشروع، وكان وراء هذا السحب النائب «وارني»⁴³ الذي انقلب على صديقه لافيغري واتهمه بتحويل الأموال المعتمدة لجيبه الخاص، وأنه لم ينفق منها على الأيتام إلا القليل. كما اقترح أن يوزع العرب المتنصرين على العائلات الأوروبية ليعملوا كخدم في البيوت⁴⁴.

لقد عان العرب المتنصرين عزلة مضاعفة، فنبذوا من طرف المجتمع الجزائري وأحتقروا من قبل الأوروبيين. ولم يتغير وضعهم القانوني رسميا، فلم يحصلوا على المواطنة وعُدوا من الوجهة الرسمية رعايا فرنسيون مثلهم مثل «الأهالي»؛ فالتحول (إلى النصرانية) - في نظر المشرع الفرنسي - لا يعادل التجنّس. ذلك لأن الإدارة الاستعمارية كانت تريد الإبقاء على هيمنة العنصر الفرنسي (ذو الأصل الأوروبي)⁴⁵.

لقد واجه مشروع قرى المتنصرين صعوبات جمة ومعارضة من طرف الساسة الفرنسيين أرغم لافيغري على التخلي عن مشروع إنشاء قرى مسيحية أخرى. وتوزع العرب المتنصرين في البلاد، وتوظفوا في مختلف القطاعات. ولم يبق - حسب «بونس» - إلا 200 نسمة تقريبا في القريتين السابقتين (في حدود سنة 1930م)، ولم يتقبل لافيغري فشله بصدر رحب واتهم معارضيه بالكفر وسوء النية⁴⁶. وهكذا فإن القرى المسيحية مثلت خيبة أمل ولم يكن لها أي أثر على المجتمع الاسلامي⁴⁷.

الخاتمة:

سعيًا من خلال هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الجهود المضنية التي بذلها الكاردينال لافيغري والإمكانات التي جندها من أجل تنصير المجتمع الجزائري مركزًا بالدرجة الأولى على منطقة القبائل وعلى الأيتام المسلمين ضحايا المجاعة والأوبئة. ويمكن أن نلخص نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

اعتبار لافيغري شخصية محورية بارزة في مجال التنصير، وقد يعادل في نشاطه بضعة رجال من كبار المنصّرين، فقد تميز بتكوينه العالي في المجال الكنسي، والصبر والمثابرة وعلو الهمة وروح التضحية، وكان متحمسًا، مندفعًا لدرجة التعصب، طموحه غير محدود، كما كان ميكيافيليا، صلبًا وملتسطًا كما عبر عن ذلك أحد «الآباء البيض» (جون كلود سيلبي)⁴⁸.

قامت استراتيجية لافيغري على محاولة اختراق النسيج الاجتماعي المتماسك للمجتمع الجزائري وزرع بذور التفرقة بين أفرادها خاصة بين البربر والعرب.

وظف لافيغري الأعمال الإنسانية- «أعمال البر والإحسان» - لغايات غير إنسانية؛ فقد استغل الفقر والجوع واليتم والحاجة إلى التعليم والتطبيب لغرض الدعوة إلى النصرانية، مع أنها كانت محرمة من الوجهة القانونية. وهو الأمر الذي احتج به ماكماهون في خلافه معه.

إن جل الذين تنصروا أو نصّروا، على قلتهم، كانوا من الأيتام اليافعين الذين لم يكونوا قد بلغوا سن التمييز (الرشد). وهذا العمل يعتبر مخالفة قانونية وتصرف لا أخلاقي ولا إنساني.

يمكن القول بأن لافيغري فشل في مسعاها التنصيري -على الأقل في المدى القريب- لأن عدد الذين اعتنقوا الكاثوليكية بقي محدودًا جدًا، ويمكن إيعاز هذا الفشل إلى:

- قوة تماسك المجتمع الجزائري المسلم وقوة إيمانه وعقيدته كما عبر عن ذلك مؤلفا كتاب: «منطقة القبائل وعادات القبائل» «الفرد مرتبط بالأسرة والأسرة مرتبطة

بالخروبة والخروبة بالقرية والقرية بالقبيلة»⁴⁹. هذا التضامن الذي يربط الفرد بالعائلة، فالتنظيم العائلي والاجتماعي لهؤلاء السكان لم يسمح بتتصيرهم⁵⁰.

- صعوبة الدعوة لعقيدة جديدة في مجتمع متدين ومؤمن وليس كافرا (كما كان يردد المنصرون)، فما الذي كانت ستقدمه الكنيسة للمسلم المنتصر، فالمسلمون يؤمنون أصلا برسالة عيسى عليه السلام. كما أن الدعوة إلى النصرانية في نظر عامة المسلمين وخاصتهم هي دعوة إلى الشرك والكفر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾⁵¹. فقد يكون من السهل انتشار النصرانية في مجتمع وثني، ولكنه من الصعب اقناع شخص مسلم بالتخلي عن عقيدة التوحيد لاعتناق عقيدة التثليث: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾⁵². بل بالعكس كان المسلمون يأملون في أن يُسلم هؤلاء المنصرون.

- كان لافيغري بفرقه ومؤسسته ومخططاته يمثل رافدا من روافد الاستعمار، فالتصير في نظره أفضل وسيلة للإدماج والفرنسة؛ والمجتمع الجزائري رفض الاستعمار جملة وتفصيلا.

ومع ذلك فلا يمكن القول أن فشل المنصرين -وعلى رأسهم لافيغري- كان مطلقا؛ «فبالنسبة للتصير لم يتمكن من أن يتعدى اليتامى واليتيمات في الملاجئ التي أقاموها لهم. أما بالنسبة لنظامهم التعليمي، فلم يعرف الرواج الذي كانوا يأملون بلوغه، غير أنه، وهذا هو المهم، صمد في البقاء في منطقة القبائل وتحصن هناك، تمهيدا لازدهاره في المراحل اللاحقة»⁵³.

وبالفعل فإن الأثر الذي تركه التعليم -الذي أشرف عليه «الآباء والأخوات البيض» - في نفوس الذين درسوا في مدارسهم كان كبيرا على المدى البعيد، صحيح أنهم لم يتتصروا ولم يتجنسوا؛ ولكنهم تفرنسوا وأصبحوا من أكبر المدافعين عن الثقافة الفرنسية، وشكلوا -مع من تخرجوا من المدارس العمومية الفرنسية - نخبة تصدرت المشهد السياسي والثقافي في الجزائر.

- 1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 16.
- 2 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 86.
- 3 - خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830 - 1871، دار دحلب، الجزائر، 2009، ص 18.
- 4 - بوحوش، مرجع سابق، ص 100.
- 5 - لمزيد من التفاصيل عن هذه المسألة انظر:
- سعد الله، المرجع نفسه، ص 80 - 89.
- 6- شارل لفيجري: (1825-1892)، رجل دين فرنسي ولد في بايون، أسقف الجزائر (1866) وقرطاج (1884)، رقي إلى رتبة كاردينال سنة 1882. أسس جمعية الآباء البيض سنة 1868. انظر:
- Georges Lucas et al., *Petit Larousse en couleurs*, librairie Larousse, édition 1986, paris, septembre 1985, p. 1550.
- 7 - Baunard, Louis, *Le Cardinal Lavigerie*, T1, Librairie cn. Poussielgue, Paris, 1896, p. 199.
- 8 - المهدي البوعبدلي، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة، ع 08، جوان 1972، ص 312.
- 9 - Aylward shorter, *les pères blancs au temps de la conquête coloniale : Histoire des Missionnaires d'Afrique (1892 - 1914)*, tr. Gérard Guiraudin, Ed. Karthala, Paris, 2011, p. 191.
- 10 - Lavigerie, *Lettre de Mgr l'archevêque d'Alger ... op.cit*, p. 7.
- 11 - Félix Klein (l'Abbé), *Le Cardinal Lavigerie et ses œuvres d'Afrique*, Alfred Mame et fils, Editeurs, tours, 1897, p. 124.
- 12 - Lavigerie, *Anthologie de textes, Volume I (1857-1874)*, Textes recueillis et présentés par Jean-Claude Ceillier, Rome, 2016, p. 42.

13 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، دار الغرب الاسلامي، ط 1، 1998، ص 123.

14 - البوعبدلي، المرجع السابق.

15 - Tournier, Jules (Chne). Le Cardinal Lavigerie et son action politique (1863-1892), d'après des documents nouveaux et inédits, thèse pour le doctorat ès lettres présentée à la faculté des lettres de l'Université de Paris par J. Tournier. 1913. P. 23

16 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 124.

17 - Klein, op.cit, p. 95.

18 - Alexandre Pons (Mgr), La nouvelle église d'Afrique : ou, Le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830, librairie Louis Namura, Tunis, 1930, p. 311

19 - Pons, loc. cit.

20 - Antoine Ricard, Le cardinal Lavigerie, primat d'Afrique, archevêque de Carthage et d'Alger, J. Lefort imprimeur éditeur, Paris, 1892, p. 88,131.

21 - Aylward, loc. cit.

22 - Klein, op.cit, p.96.

23 - عز الدين عناية، المسيحية في المغرب العربي، الحوار المتمدن، ع 895،

13 أوت 2015. من الموقع الإلكتروني:

<http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=480259&r=0>

21:38:40 2018-12-29

24 - Baunard, op.cit, p. 392-393.

25 - كما صرح بذلك لافيغري في رسالة بعثها إلى النائب عن الجزائر في البرلمان

الفرنسي السيد «وارني» بتاريخ 16 أوت 1874. للاطلاع على نص الرسالة

انظر:

Lettre de Mgr l'archevêque d'Alger (Lavigerie) à M. Warnier

... :

<http://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k5789828h/f2.image.r=le>

- s%20villages%20arabes%20chr%C3%A9tiens. Consulté le vendredi 8 septembre 2017.
- 26 - Marcel Emerit, le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le Second Empire, Revue historique, janvier mars 1960, p. 83.
- 27 - Klein, op.cit, p. 100.
- 28 - Pons, loc. cit.
- 29 - Ibid., p. 413 - 416.
- 30 أبو عمران الشيخ، الأسقف لافيغري ونشاطه التبشيري في وادي الشلف 1867-1892م، مجلة الأصالة، ع 83-84، السنة 1980، ص 55-63.
- 31 - Klein, op.cit, p. 100.
- 32 - Pons, loc. cit.
- 33- أبو عمران، المرجع السابق.
- 34 - Klein, op.cit, p. 115.
- 35 - Aylward, loc. cit.
- 36 - وعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير في علوم التربية، جامعة الجزائر، 1988-1989، ص 277.
- 37 - من المفردة الفرنسية (tourner) والتي تعني فيما تعنيه: الدوران، تغيير الاتجاه، الانعطاف... انظر:
- Lucas et al., op.cit, p. 932.
- 38 - le coup de bambou, 2éme année, n° 52, jeudi 11 octobre 1934, p. 1.
- 39 - Joseph Zentar, *les M'touris*, L'Effort algérien, 1ere année, n°31, Samedi 3 Décembre 1927.
- 40 - Pottier, op.cit, p. 74.
- 41 - Gadant Monique, les femmes algériennes, quel enjeu ? in : Journal des anthropologues, n°63, Hiver 1995-1996, enjeux du religieux, pp. 67-71.
- 42 - Salima Bouyarden, Intériorisation - Internalisation : les mécanismes de l'émergence d'une identité musulmane

- européenne, thèse de doctorat présentée à l'université de Strasbourg le 11 septembre 2013, pp. 104-106.
- 43 - أوغيست هيبير وارني (Auguste Hubert Warnier) (1810-1875). طبيب ورجل دولة فرنسي. تبنى الفكر السان سيموني. انتخب نائبا عن الجزائر. كان عارفا للغة العربية درس عادات وتقليد المجتمع الجزائري ورسم خريطة لمواطن مختلف القبائل. اشتهر بقانون تنظيم الأراضي الذي استحوذ به المستعمر على ما تبقى من ملكية الجزائريين لأراضيهم انظر:
- Faucon Narcisse, Le livre d'Or de l'Algérie, Challamel et Cie Éditeurs, Librairie Algérienne et Coloniale, Paris, 1889, pp.631-638.
- 44 - Klein, op.cit, p. 103.
- 45 - Laure Blévis, La citoyenneté française au miroir de la colonisation : étude des demandes de naturalisation des « sujets français » en Algérie coloniale, Genèses, 2003/4, n°53, pp. 25-47.
- 46 - البوعبدلي، مرجع سابق.
- 47 - Aylward, loc. cit.
- 48 - Delisle Philippe, Jean-Claude Cellier, Histoire des Missionnaires d'Afrique (Pères Blancs) : De la fondation par Mgr Lavigerie à la mort du fondateur (1868-1892). In : Outre-mers, tome 97, n°368-369, 2e semestre 2010. Cinquante ans d'indépendances africaines. pp. 442-444.
- 49 -A. Hanoteau, A. Letourneux, la Kabylie et les coutumes kabyles, 2^{eme} édition, T1, Augustin Challamel éditeur, Paris, 1893, pp. 281-282.
- 50 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 118.
- 51 - القرآن الكريم، المائدة، الآية: 17.
- 52 - القرآن الكريم، المائدة، الآية: 73.
- 53 - وعلي محمد الطاهر، مرجع سابق، ص 281.